

الوافي في الوفيات

وتودُّ الشمسُ لو باتتُ بها ... فلذا تصفرُّ أوقاتَ الرحيلِ .

ومنه :

وقد أغتدي والليلُ قد سلَّ صحبَه ... بليلِ بجلبابِ الصباحِ تلتثُ ما .

وأحسبُه خالَ الثريِّ لجامَه ... فصيَّره هاديه إلى الأُفقِ سُلَّ ما .

ومنه :

ولا تُصغرينَّ إلى عاذلٍ ... فما آفةُ الحبِّ إلاَّ العَذَلُ .

وجازِ بما شئتَ غيرَ الجفا ... وعذِّبِ بما شئتَ إلاَّ المَلَلُ .

ومنه :

إذا العصونُ بدتُ خَفَّ ساقَةَ العَذَبِ ... فاسجدُ هُديتَ إلى الكاساتِ واقتربِ .

وطارجِ الوُرُقِ في أدواحِها طرباً ... ومِلْ إذا مالتِ الأغصانُ من طربِ .

وانهضُ إلى أُمِّمٍ أنسِ بنتِ دَسْكَرَةَ ... تُجلى عليكِ بإكليلِ منَ الذهبِ .

وانظرُ إلى زينةِ الدنيا وزُخْرُفِها ... في روضةٍ رَقَمَتَها أنْمُلُ السُّحْبِ .

وللأزاهرِ أحداقُ مُحدِّقَةٌ ... قد كحَّ لآتِها يمينُ الشمسِ بالذَّهَبِ .

ومنه :

لا أنسَ ليلةَ وافينا لموعدا ... والكاسُ دائرةٌ والعصنُ مُعتدِقي .

فقلتُ إذْ بتُّ أسقي الشمسِ في قدحي ... من ذا الذي صاغها قُرطاً على الأُفقِ ؟

ومنه :

تقاسمه الوُرَّادُ من كلِّ جهةٍ ... ولا أثرُ يبدو به للتبسُّمِ .

فلولاه ما جاد الغمامُ بعبرةٍ ... ولا الروضُ أضى مُطهرًا للتبسُّمِ .

وكتب إليه السرَّاج الورَّاق ومن خطِّه نقلتُ :

إذا ابنُ سعيدٍ سادَ أهلَ زمانِه ... فقلْ لهُمُ : ما سادَ هذا الفتى سُدى .

أرى الشُّهُبَ من شرقٍ لغربٍ مسيرُها ... لتحظى بأن تهوي لذا النورِ سُجَّدا .

وكتب ابن سعيد إلى السرَّاج الورَّاق :

أتى بارتسامي في المحبِّة مسطورُ ... فلاله منظومٌ هناك ومنثورُ .

أهيمُ بمعناكم ومعنى جَمالِكُم ... وأيُّ سراجٍ لا يهيمُ به النورُ ؟

فأجاب السرَّاج ومن خطِّه نقلتُ :

كتابُك نورَ نَوْرٍ مُفَتِّحٌ ... أريجُ الشذا من صوبِ عقلِك ممطورُ .

تأرَّجَ لي لمَّـا تبلَّجَ حبَّـذا ... سطورُ بها قد أشرق الذَّـورُ والذَّـورُ .
صاحب شذور الذهب .

علي بن موسى بن علي بن موسى بن محمد بن خلف أبو الحسن بن الذَّـقَرَات الأنصاري السالمي الأندلسي الجيِّـاني نزيل فاس . ولي خطابة فاس وهو صاحب كتاب شذور الذهب في صناعة الكيمياء . توفِّي سنة ثلاث وتسعين وخمس مائة . لم ينظم أحدٌ في الكيمياء مثل نظمه بلاغةً معانٍ وفصاحةً ألفاظ وعذوبة تراكيب حتَّى قيل فيه : إن لم يعلِّمك صنعة الذهب فقد علِّمك صنعة الأدب . وقيل : هو شاعر الحكماء وحكيم الشعراء . وقصيدته الطائفة أبرزها في ثلاثة مظاهر : مظهر غزل ومظهر قصة موسى والمظهر الذي هو في الأصل صناعة الكيمياء ؛ وهذا دليل القدرة والتمكُّن وأوَّلها : .

بزيتونة الدُّهنِ المباركةِ الوسطى ... غنينا فلم نبدل بها الأثْلَ والخَمَطَا .
صفونا فآنسنا من الطورِ نارَها ... تُشَبِّبُ لنا وهَنًا ونحن بذى الأُرى .
فلمَّـا أتيناها وقرَّـبَ صبرُنا ... على السَّـيرِ من بُعدِ المسافة ما اشتطَّـا .
نحاولُ منها جذوةً لا ينالها ... منَ الناسِ من لا يعرف القبض والبسطا .
هبطنا من الوادي المقدَّس شاطئًا ... إلى الجانب الغربيِّ نمتدِّلُ الشرطا .
وقد أرجَ الأرجاءُ منها كأزَّـها ... لطيب شذاها تحرق العُودَ والقُسطا .
وقمنا فألقينا العصا في طِـلابِها ... إذا هي تسعى نحونا حيَّةً رَـقْطا .
وثار لطيفُ النقعِ عند اهتزازها ... فأظلم من نور الظهيرة ما غطَّـى .
وأهوت إلى ما دوننا من رماله ... وأمواهيه والصخرِ تنهما سَـرطا .
فأدبرَ من لا يعرفُ السَّرَّـ خيفةً ... وأقبل منها من يروم بها سقطا .